وقوله : (إن ربك حكيم عليم) تذييل والخطاب للنبي A فإن كان قوله : (خالدين فيها إلا ما شاء ا) من بقية المقول لأولياء الجن في الحشر كان قوله : (إن ربك حكيم عليم) جملة معترضة بين الجمل المقولة لبيان أن ما رتبه ا على الشرك من الخلود رتبه بحكمته وعلمه وإن كان قوله : (خالدين) الخ كلوا مستقلا معترضا كان قله : (إن ربك حكيم عليم) تذييلا للاعتراض وتأكيدا للمقصود من المشيئة من جعل استحقاق الخلود في العذاب منوطا بالموافاة على الشرك . وجعل النجاة من ذلك منوطة بالإيمان .

والحكيم : هو الذي يضع الأشياء في مناسباتها والأسباب لمسبباتها . والعليم : الذي يعلم ما انطوى عليه جميع خلقه من الأحوال المستحقة للثواب والعقاب .

(وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون [129]) هو من تمام الاعتراض أو من تمام التذييل على ما تقدم من الاحتمالين . الواو للحال : اعتراضية كما تقدمن أو للعطف على قوله : (إن ربك حكيم عليم) .

والإشارة إلى التولية المأخوذة من : (نولي) وجاء اسم الإشارة بالتذكير لأن تأنيث التولية لفظي لا حقيقي فيجوز في إشارته ما جاز في فعله الرافع للظاهر والمعنى : وكما ولينا ما بين هؤلاء المشركين وبين أوليائهم نولي بين الظالمين كلهم بعضهم مع بعض .

والتولية يجيء من الولاء ومن الولاية لأن كليهما يقال في فعله المتعدي : ولى بمعنى جعل وليا فهو من باب أعطى يتعدى إلى مفعولين كذا فسروه وظاهر كلامهم أنه يقال : وليت ضبة تميما إذا حالفت بينهم وذلك أنه يقال : تولت ضبة تميما بمعنى حالفتهم فإذا عدي الفعل بالتضعيف قيل : وليت ضبة تميما . فهو من قبيل قوله : (نوله ما تولى) أي نلزمه ما ألزم نفسه فيكون معنى : (نولي بعض الظالمين بعضا) نجعل بعضهم أولياء بعض . ويكون ناظرا إلى قوله : (وقال أولياؤهم من الإنس) . وجعل الفريقين ظالمين لأن الذي يتولى قوما يصير منهم .

فإذا جعل ا فريقا أولياء للظالمين فقد جعلهم ظالمين بالأخارة قال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقال : (بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن ا لا يهدي القوم الظالمين) .

ويقال : ولى بمعنى جعل واليا فيتعدى إلى مفعولين من باب أعطى أيضا يقال : ولى عمر أبا عبيدة الشام كما يقال : أولاه لأنه يقال ولي أبو عبيدة الشام ولذلك قال المفسرون : يجز أن يكون معنى : (نولي بعض الظالمين بعضا) نجعل بعضهم ولاة على بعض أي نسلط بعضهم على

بعض والمعنى أنه جعل الجن وهم ظالمون مسلطين على المشركين والمشركون ظالمون فكل يظلم بمقدار سلطانه . والمراد : ب (الظالمين) في الآية المشركون كما هو مقتضى التشبيه في قوله : (وكذلك) .

وقد تشمل الآية بطريق الإشارة كل ظالم فتدل على أن ا سلط على الظالم من يظلمه وقد تأولها على ذلك عبد ا بن الزبير أيام دعوته بمكة فإنه لما بلغه أن عبد الملك بن مروان قتل عمرا بن سعيد الأشدق بعد أن خرج عمرو عليه صعد المنبر فقال : " ألا إن ابن الزرقاء يعني عبد الملك بن مروان لأن مروان كان يلقب بالأزرق وبالزرقاء لأنه أزرق العينين قد قتل لطيم الشيطان " (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) . ومن أجل ذلك قيل : إن لم يقلع الظالم عن ظلمه سلط عليه ظالم آخر . قال الفخر : إن أراد الرعية أن يتخلصوا من أمير ظالم فليتركوا الظلم . وقد قيل : .

" وما ظالم إلا سيبلى بظالم وقوله : (بما كانوا يكسبون) الباء للسببية أي جزاء على استمرار شركهم .

والمقصود من الآية الاعتبار والموعظة والتحذير من الاغترار بولاية الظالمين وتوخى الأتباع صلاح المتبوعين وبيان سنة من سنين ا في العالمين .

(يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أن أنفسهم أنهم كانوا كافرين [130]) E A